



تاريخ القبول: ..2021/06/..22..

تاريخ الاستلام: ..2021/06/..20.....

#### ملخص:

تحاول هذه الدراسة إبراز قيمة التجنيد في الجيش الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مع إبراز الآليات الجديدة التي استعملها الدايات، وكيف فشلت سياسة التجنيد أواخر العهد العثماني؟ لماذا تمكنت قوات الاحتلال الفرنسي من هزيمة الجيش الجزائري بسرعة فائقة، لم يتوقعها العدو آنذاك.

#### الكلمات المفتاحية:

الجزائر، العهد العثماني، الجيش، الاحتلال، التجنيد

#### Abstract:

This study attempts to highlight the value of conscription in the Algerian army at the end of the Ottoman period. It also highlights the new mechanisms used by Deys, and how the conscription policy failed in late Ottoman Algeria. Why were the French occupation forces able to defeat the Algerian army very quickly? which the enemy did not expect at the time.

#### Keywords:

Algeria, the Ottoman era, the army, the occupation, the conscription

## فقدان الأهمية العسكرية للجيش الجزائري أواخر العهد العثماني الأسباب والنتائج

The loss of the military importance of  
the Algerian army at the end of  
the Ottoman era: Causes and results

الأستاذ الدكتور حنفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس

hanifi-andalous@yahoo.fr

المؤلف : الأستاذ الدكتور حنفي هلايلي  
البريد الإلكتروني: hanifi-andalous@yahoo.fr

إن تراجع هيبة الأتراك العثمانيين قد تزامن مع انتهاء الوجود الإسباني وعودة وهران نهائيا إلى إيالة الجزائر بعد أن ضربها زلزال عنيف أتى على معظم مبانيها سنة 1792م. وزاد الوضع تعقيدا أن فرنسا الدولة المرشحة لاستلام إرث إسبانيا لأسباب دينية (وحدة المذهب الكاثوليكي) وعائلية (حكام آل بوروبون لكلا البلدين)، كانت تربط فرنسا بالجزائر مصالح تجارية هامة<sup>1</sup> وفي بداية القرن التاسع عشر ومع انتهاء الحروب النابولونية واتفاق الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا 1815م على محاربة القرصنة، كانت الأقلية التركية تعيش فيها بينما، توجه أنظارها للداخل لتنظم فيه وجودا عسكريا يضمن لها مواصلة الجباية التي كانت تشتد وطأتها على الأهالي سنة بعد أخرى. أما سياسة التقارب مع مشايخ الزوايا وكسب كنف العلماء بتشديد المساجد والإكثار من التحسيس لفائدة المدارس<sup>2</sup> وبسبب هذا العجز عن الاندماج في صلب المجتمع المحلي تشبث أعضاء الديوان بالقرصنة (الجهاد البحري) والتي كانت تتولد علمها نزاعات مع الدول تكلف الداي مصاريف تفوق بكثير مغانمها القليلة والموسمية. كثيرا ما أصبح الدايات يجدون أنفسهم بين نارين: تهديد الدول في الخارج والثورة في الداخل. وهذا الوضع المقلق لم يكن خفيا على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل والتجار وغير الرسميين كالجواسيس والسياح.

لقد اهتمت إيالة الجزائر بمسألة التجنيد في أواخر العهد العثماني، وبالرغم من هذه السياسة فإن هذا لم يساهم في عملة بناء جيش نظامي قوي يعتمد عليه في الأزمات، بل ساهمت عملية فتح باب التجنيد على مصراعيه إلى تكوين فرقة من المرتزقة همها الوحيد جمع الأموال. وأمام تدهور الأوضاع المالية للجزائر خلال الفترة المذكورة وانعدام ضبط المصاريف وتحديد النفقات، ظهر عجز مالي كبير. ومما يلاحظ في هذا السياق أن الدولة اهتمت بالجانب المالي في تسيير الإدارة. مع العلم أن المهام المالية كانت أهم ما يطلب من الموظفين عند القيام بوظائفهم. وقد جمدت هذه المهام نشاط الموظفين في مختلف الأسلاك وجعلتهم يعيشون في ظل الخوف من إجراءات العزل والتغريم. وبذلك أصبح همها الوحيد هو التمكن من جمع أكبر كمية من المال في أقصر وقت حسب تعبير كولومب<sup>3</sup>.

ومن هذه الاستنتاجات يتضح أن المؤسسة العسكرية لم تكن بمعزل عن هذه القضايا المالية، والتي أثرت بشكل كبير، جعلت العديد من أفراد الجند بفرون خارج الجزائر، ونستشف خلفيات هذه الأحداث من فرمان الصادر عن السلطان محمود الثاني بتاريخ 11 ربيع الأول 1242هـ/أكتوبر 1826م، إلى حاكم تونس حسين باي يطلب منه منع الجنود الهاربين من إيالة الجزائر من الإقامة أو عبور تونس، ويجب تسليمهم فورا إلى وكيل الجزائر بتونس<sup>4</sup>

### فشل سياسة التجنيد:

عرفت إيالة الجزائر منذ مطلع القرن التاسع عشر اختلالا في التوازن المالي، وبالرغم من التجاء الحكام إلى الزيادة في أنعاش الخزينة بواسطة الضرائب، بالقوة العسكرية، مع محاولة إحياء نشاط البحرية بتشجيع غزوات الرايس حميدو وملائمة الظروف الدولية التي كانت وراء حروب وتوسعات نابوليون الأول في القارة الأوروبية، كل هذه

العوامل ساعدت بقسط وافر في تغطية العجز المالي للإيالة بين سنتي 1805 و1815م بأرباح بلغت ثمانية ملايين فرنك<sup>5</sup>. لم تكن لهذه الوسائل أي مظهر إيجابي، بل ساهم ذلك في نشوب ثورات عديدة وجدت في الزوايا وسيلة للتعبير عن كراهيتها للسلطة الحاكمة، مما انجر عنه تناقص في عدد المجندين الوافدين من المشرق، والذين عجزت الإيالة عن توفير مرتباتهم وتسديدها في الأجل المحددة.

وبفحص الوثائق العثمانية اتضح أن بعض الدايات عجزوا عن تسديد مرتبات الجند. وهذا ما تؤكد رسالة الداى عمر باشا (1815-1817م)، إلى السلطان محمود الثاني متحدثا عن ذلك: "إننا ملزمون على دفع أتاوات ما بين ثلاثين وأربعين ألف إنكشاري، ففي سالف الزمن كنا ندفع أجورهم على دفعة واحدة، ولكن منذ عشر سنوات لم تتمكن من مضاعفة أتاواتهم، كذلك كنا نسدد أجور كل شهرين، أما اليوم فإن تسديد أتاواتهم يتم مرة واحدة كل أربعة أشهر بالنسبة للبعض، وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر، وقسم ثالث تسدد أجورهم كل سنة... يا حضرة السلطان بالنظر إلى قلة عدد الانكشاريين، فإننا نطلب منكم أن ترسلوا لنا عدد من الجنود من الأقاليم..."<sup>6</sup>

وتشير الوثائق العثمانية إلى حالات كثيرة عن تدهور أوضاع الجند وفشل سياسة التجنيد التي اتبعتها الإيالة، وهذا ما تبرزه حالات الغيابات المتكررة، ونرصد أمثلة ذلك في نصوص نعتبرها المصدر الوحيد لمثل هذه القضايا: "رسالة من حسين آغا محلة الغرب إلى حسين داى في 2 ذي الحجة 1243هـ/1827م، يخبره عن غياب اثنين وثلاثين جندياً"<sup>7</sup>. ونص آخر: "رسالة من إسماعيل آغا محلة الشرق إلى حسين داى في 1242هـ/1826م، يبلغه عن غياب خمسة وعشرين جندياً من المحلة"<sup>8</sup>. وتذكر لنا وثيقة أخرى: "رسالة من مصطفى آغا ثوبه مستغانم إلى حسين داى في 20 ذي القعدة 1244هـ/1829م، يبلغه عن نقص اثنين وأربعين جندياً من جنود النوبة"<sup>9</sup>

إن الخوف من انقطاع عمليات التجنيد، جعلت إيالة الجزائر، تعمل على تحسين علاقاتها مع الباب العالي باستمرار، ذلك أن السلطات العثمانية كثيراً ما استعملت ورقة التجنيد كوسيلة للضغط على الجزائر. ففي عام 1798م -بعد احتلال بونابرت لمصر- أصدر السلطان أمر إلى الداى مصطفى باشا يأمره بإعلان الحرب على فرنسا والعمل على إلقاء القبض على كل الرعايا الفرنسيين الموجودين بتراب الإيالة أو سجنهم وبالاستيلاء على سفنهم أو إغلاقها مع سجن قنصل<sup>10</sup> فرنسا في الجزائر<sup>11</sup>.

وبالرغم من مطالب السلطان الملحة إزاء هذه القضية، تغاضت الجزائر على مثل هذه الأوامر، فأصدر السلطان فرماناً بموجبه تمنع سفن إيالات كل من تونس وطرابلس الغرب والجزائر من الدخول إلى الموانئ التركية. كما أمر بطرد وكلاء الجزائر المكلفين بالتجنيد في أزمير<sup>12</sup>. لقد تلكأ الداى مصطفى طويلاً قبل أن يتخذ موقفاً حول هاته القضية حيث اضطر في النهاية تحت ضغط الرأي العام في الداخل وإلحاحات السلطان العثماني إلى إعلان الحرب ضد فرنسا في 21 ديسمبر 1798م.<sup>13</sup>



نلاحظ أن عمر باشا قد ربط علاقاته بالباب العالي، وصرح أنه على استعداد لتنفيذ أي أمر يصدره السلطان بشأنه. وقد طلب من السلطان تسهيل تجنيد الإنكشاريين من أزمير، وقد وصل خلال سنتين 1290 إنكشارياً<sup>14</sup> كما أن عمر باشا طلب من الباب العالي سرّاً، توفير الأسلحة للجزائر وتونس، وطرابلس الغرب لتجهيز جيوشهم، حتى يقفوا ضد تهديدات الأوروبيين<sup>15</sup>.

وبفحص الوثائق اتضح أنه في أوائل رمضان 1230 هـ/فيفري 1815م، تراجع الباب العالي عن قراره بمنع الجزائر من تجنيد المتطوعين في الأناضول مقابل توقف البحرية الجزائرية عن اعتراض سفن الدول التي لها علاقات مع الدولة العثمانية أو من رعايا السلطان<sup>16</sup>.

لقد أثار اعتداء الأسطول الجزائري على سفن رعايا الدولة العثمانية في بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط حفيظة السلطان محمود الثاني الذي أصدر عام 1239هـ/1823م، فرماناً يمنع الجزائر من تجنيد المتطوعين من منطقة أزمير. ويبدو أن الجزائر كانت بحاجة ماسة إلى متطوعين جدد، فاضطر الداوي حسين، إلى إرسال اعتذار لسلطان، الذي أبدى تفاهماً للوضع وأرسل فرماناً إلى مناطق التجنيد يتضمن رفع حالة المنع، وتعيين الحاج سعيد رئيس الدائيات في أزمير<sup>17</sup>. ولا شك أن سبب إخفاق الحكام في السيطرة على مجريات الأحداث كان نتيجة لعدة عوامل منها سياسة التجنيد الفاشلة التي اتبعتها الدايات. فعندما كانت الجزائر في حاجة إلى جنود جدد لتدعيم صفوف جيشها، قامت السلطات في أواخر العهد العثماني بإرسال الدائيات إلى تركيا لتجنيد المتطوعين. ولم يكن هؤلاء ملتزمين بقواعد التجنيد كما عهدت الإيالة من ذي قبل.

### تراجع أهمية التجنيد:

لقد وقع خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر حدثان كان وراء تراجع وتدهور التجنيد. تمثل أحدهما في الحرب اليونانية العثمانية<sup>18</sup> التي حولت البحر الأبيض إلى ساحة قتال دائم بين اليونانيين والعثمانيين. وقد انعكس آثار هذه الحرب على اتصالات القائمة بين الجزائر والدولة العثمانية، لا سيما مدينة أزمير التي كانت المصدر الرئيسي لتجنيد المتطوعين. وهذا ما عبر عنه الباش داي الحاج حسين بأزمير في إحدى رسائله إلى حسين باشا في مدينة الجزائر في أول ربيع الأول عام 1242هـ/1827م، حيث أخبره بإرسال المتطوعين إلى الجزائر وطلب إرسال عشرة دائيات بغرض المساعدة<sup>19</sup>

لقد ساهم انتشار المجاعة والأوبئة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة في هلاك عدد كبير من السكان، وعلى رأسهم أفراد الجند، وفي هذا السياق ما رصده كاشفكار عن ثكنات مدينة الجزائر قبل 1786م والتي كانت مكتظة بالجنود حسب تعبيره، وبعد اجتياح الطاعون بمدينة الجزائر في تلك السنة، هلك الجند، فأصبحت الثكنات شبه خالية<sup>20</sup>

## فقدان الأهمية العسكرية للجدش الجزائري أواخر العهد العثماني " الأسباب والنتائج "

ومن خلال رواية الزهار نستشف عناصر أسباب انتشار وباء الطاعون بمدينة الجزائر، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى عنصر الوافدين المتطوعين القادمين من مدن الأناضول حيث يذكر لنا: " وفي سنة 1201هـ/1786م، جاء الوباء للجزائر، حتى وصل عدد الموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير، قيل أنه أتى من برالترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ/1796م...<sup>21</sup>. وحسب بربروجر فإن وباء الطاعون جاء من طرف البحارة القادمين من اسطامبول<sup>22</sup>

ولم يقتصر دور الأمراض الفتاكة في تناقص عدد أفراد الجيش، بل ساهمت الثورات في إنهاكه، بالإضافة إلى إحالة الكثير ممن تقدموا في السن إلى التقاعد أو العجز عند القيام بأداء الواجب العسكري. بإمكان القارئ أن يستشف من خلال الإحصائيات الخاصة بالتجنيد، الصعوبات التي كانت تواجهها عمليات جلب المتطوعين إلى الجزائر، وهذا منذ مستهل القرن التاسع عشر. ونلاحظ من خلال جدول قدوم المتطوعين إلى الجزائر، أن أعداد المجندين منذ 1801م وإلى غاية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م كان في تناقص مستمر رغم محاولات بعض الدايات إعطاء حركة نشيطة لهذه العملية<sup>23</sup>.

### جدول رقم : (1) قدوم المتطوعين (1801 - 1830م) إلى الجزائر -

التاريخ	عدد المجندين	المعدل السنوي
1801 – 1809 م	2264	251 مجندا
1810 – 1820 م	4115	411 مجندا
1820 – 1830 م	4154	415 مجندا

والظاهر أن الأرقام الواردة في دفتر أجور الإنكشارية لا تعكس لنا حقيقة عدد المجندين في الإيالة ويبدو هذا من خلال إحصاء محمد باشا (1815م)، الذي وصل عددهم في عهده أربعة آلاف مجند منهم سبعمائة خارج الخدمة<sup>24</sup>، وبسبب قدوم متطوعين جدد بلغ عدد المجندين في عهد الداوي عمر 1290م مجندا جديدا<sup>25</sup>. ويذكر القنصل الأمريكي شالر أن علي باشا قتل من الإنكشارية ألف وخمسمائة<sup>26</sup>، أما الذين تمكنوا من الفرار فيذكر الشريف الزهار أنه جهز لهم الحملات لمطاردتهم في جميع أنحاء الإيالة بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفي بعضهم<sup>(26)</sup>. وقد استعان الداوي علي خووجة بجموع الكراغلة وفرق زواوة عام 1817م لقمع ثورة الانكشارية، والتي ذهب ضحيتها حسب تعبير دي



غرامون (De Grammont) حوالي ألفين ومائتين من الجنود، من بينهم مائة وخمسين ضابطاً، إلى جانب اتخاذ تدابير صارمة أهمها توقيف التجنيد من المشرق<sup>27</sup>.

ويبدو أن محاولة الداوي حسين الرامية إلى تنشيط عملية التجنيد داخل الإيالة، كانت وراء حادثة المروحة عام 1827م، حيث تشير رسالة الداوي حسين إلى الصدر الأعظم في نفس السنة والتي يلتبس من خلالها السماح بجمع المتطوعين لفائدة الجزائر: "منذ عدة سنوات لم تتحصل الأوجاق على فرق عسكرية من الأناضول، وهو في حاجة إلى فرق تركية، ولهذا نرجو من حضرتكم الموافقة على إرسال بعض الفرق من المتطوعين من أزمير والمناطق الساحلية للإمبراطورية"<sup>28</sup>.

ومن خلال رصد الوثائق العثمانية استطعنا أن نسجل مدى الاهتمام الكبير الذي أبدته حكومة الباب العالي بخصوص إرسال متطوعين جدد إلى الجزائر، وخاصة بعد إصلاحات 1826م<sup>29</sup> وفي هذا السياق تشير وثيقة بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242هـ/ديسمبر 1826م: "رسالة الحاج حسين باش دائي الجزائر من مدينة أزمير يعلم فيها بإنشاء نظام الانكشارية من طرف الباب العالي وسماع السلطات العثمانية بإختيار أحسن الجنود لإرسالهم إلى الإيالة، وهذا ما مكنه من جمع ما بين 40 و 50 متطوعاً"<sup>30</sup>. ومن الواضح أن تناقص عدد أفراد الجيش عشية الاحتلال كان في تزايد مستمر، وهذا ما سجله رين (Rinn)<sup>31</sup>

#### جدول رقم (2): عدد أفراد الجيش الإنكشاري في الأقاليم الجزائرية

المنطقة	عدد الجنود
مدينة الجزائر	345 جندياً
بايليك التيطري	50 صبايجيا (فارسا) 120 جندياً
وهران	156 جندياً

استطعنا أن نرصد من واقع الوثائق انحطاط قيمة التجنيد الذي صار يتم بين صفوف الإنكشارية المسرحين عن الخدمة في الأناضول حيث تشير الوثيقة: "رسالة من الحاج خليل باش دائي الجزائر في أزمير إلى حسين باشا بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242هـ/ديسمبر 1826م، يخبره عن الصعوبات التي صارت تعرقل عملية تجنيد المتطوعين بسبب إنشاء النظام الجديد في الدولة العثمانية. وأن التجنيد صار يتم بين صفوف الإنكشارية المسرحين ويعلمه بإرسال خمسين متطوعاً إلى الجزائر"<sup>32</sup>

وبإمكان القارئ أن يستشف من مصدر معاصر للأحداث أمثلة على ذلك: "كان من أسباب انحطاط البلاد إرسال مندوبين إلى أزمير يجمعون الأجناد، وبدلاً أن يتبع هؤلاء المندوبون الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند

## فقدان الأهمية العسكرية للحدش الجزائري أواخر العهد العثماني " الأسباب والنتائج "

في الميليشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة، فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدبوا و أدينوا. وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانيون ختنوا أنفسهم... صارت تلك الميليشيا التي لا مبدأ لها ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم<sup>33</sup> وتعتبر سياسة التجنيد إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع وفساد المؤسسة العسكرية، فبعدما كان الجيش يدافع عن البلاد، أصبح مصدر ومنبع الفوضى والقتل. وبالرغم من ذلك ظل باب التجنيد مفتوحا حتى أواخر الحكم العثماني بالجزائر، حيث تكشف لنا وثيقة هي عبارة عن رسالة من محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر في تونس إلى ابراهيم وكيل الحرج في 26 رجب 1241هـ/1826م، يخبره فيها بوصول سفينة إلى حلق الوادي بتونس وعلى متنها 84 متطوعا جديدا متوجهين إلى الجزائر<sup>34</sup>

ولأخذ فكرة تقريبية عن عدد القوات النظامية العاملة البرية في إيالة الجزائر خلال فترات مختلفة، نثبت الجدول

التالي:

جدول رقم(3) عدد القوات النظامية العاملة البرية في إيالة الجزائر خلال فترات مختلفة

العدد	الفترة	المصدر
1800 رجلا	1536 م	وثيقة سرية إسبانية <sup>35</sup>
12000 رجلا	1619 م	غراماي (Gramaye)
6000 رجلا	1624 م	هايدو (Haedo)
22000 رجلا	1634 م	دان (Dan)
ما بين 1500 و 16000 رجلا	1720-1734 م	شاو (Shaw)
12000 رجلا	1724 م	طاسي (Tassy)
12000 رجلا	1724 – 1725 م	بايصونال (Paysonnel)
20000 مشاة وفرسان	1729 م	فو (Fau)
7000 رجلا	1764 م	ستانداري (Standari)
ما بين 7000 و 8000 رجلا	1788 م	فانتوردي بارادي (N.de Paradis)
10000 رجلا	1791 م	كيرسي (Kercy)
10000 رجلا	1808 م	بوتان (Boutin)
10000 رجلا	1809 م	دي بواتافيل (Dubois Thanville)
4000 رجلا	1816 – 1824 م	شالر (Shaler)
3861 رجلا	1829 م	تشريفات (Tachrifat)



و في يوم 7 فبراير 1830م، أعلنت فرنسا التعبئة في الجيش وبدأت الاستعدادات لتجهيز الحملة. وفي 12 مارس بعثت فرنسا، بمذكرة إلى الحكومات الأوروبية تخطر بها بالقرار الذي اتخذته وأكدت في نفس الوقت أن استعداداتها العسكرية تستهدف الجزائر لوحدها. وعلى أن الحكومة الفرنسية لم تذكر الأسباب بل قدمت أسباب واهبة مثل حادثة المروحة لتبرير الغزو. وتكشف لنا وثيقة التي هي عبارة عن تقرير أرسله أحد المخبرين إلى الداى حسين، يخبره حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي حول إقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، وإثارة مسألة الديون التي ترتبت على فرنسا من جانب الجزائر والمقدرة بسبعة ملايين فرنك<sup>36</sup>.

وقد فند "مارسيل أمريت" أسباب الغزو الفرنسي للجزائر حيث يقول: "لم يكن هدف فرنسا من الحملة القضاء على القرصنة لأن القرصنة توقفت منذ عام 1818م، والدليل على ذلك، أننا لم نجد في سجل الغنائم البحرية الجزائرية سوى 12 سفينة إسبانية، وسفینتين بابويتين، وأن هاتين الدولتين كانتا في حرب مع الجزائر. كما أن قضية تحرير الأسرى المسيحيين، لم تكن سببا لشن حملة عسكرية ضد الجزائر، لأنه لم يكن يوجد في سجون الجزائر سوى مائة سجين، كانوا يعتبرون أسرى حرب"<sup>37</sup>

وفي نفس السياق أضاف "أمريت" أنه: "بعد حصار طويل، لم تجد فرنسا حادثا جديدا تبرر به حملتها العسكرية، لذا اتخذت من قضية قصف سفینتها لآبروفانس<sup>38</sup>، من قبل الجزائر، سببا لتنفيذ مشروعها إلا أن هذا السبب لا يكفي أن يكون مبررا، لأن القصف كان مجرد خطأ ارتكبه الجنود الجزائريين، وأن الداى قام بعزل المسؤولين عن هذه الحادثة"<sup>39</sup> وقبل إنهاء التحضيرات طبع الفرنسيون بيانا سريا، قام العملاء والجواسيس والقناصل بتوزيع عدة نسخ منه في مختلف أرجاء الجزائر، وكان الهدف الرئيسي من هذا البيان هو إضعاف معنويات الجزائريين وبالتالي التخلي عن مساندة حكومة الداى، ومما جاء في البيان المذكور: "أن الفرنسيين جاءوا إلى الجزائر لتأديب الداى الذي أساء إلى شرف فرنسا بسبب جهله، وليس لاحتلال البلاد. فطلبوا من الأهالي الانضمام إلى الفرنسيين والتعاون معهم ضد الأتراك، وأنهم يضمنون لهم أراضيهم وأملاكهم، وسيحترمون مقدساتهم بما فيها المساجد"<sup>40</sup>

والظاهر أنه كان للبيان الذي وزعه الفرنسيون تأثير كبير على بعض الأشخاص، وكان هؤلاء قد اقتنعوا بأن الفرنسيين قد جاءوا "محررين"، للجزائريين من سلطة الأتراك، فأصبح هؤلاء من أنصار الحل السلمي، وقد تسبب البيان "الغامض الفارغ" الذي كان مقصودا به الدعاية فقط، في شل الطاقة المحاربة لدى بعض الجزائريين<sup>41</sup>، وبخصوص التحضيرات العسكرية عن الجانب الجزائري تطلعنا رسالة بعث بها الحاج محمد مفتي الجزائر إلى شقيقه بأزمير قبل الحملة: "يخبره بالاستعدادات العسكرية للجزائر من تحصين الأبراج بألف مدفع، واعتناء الجنود بأسلحتهم، ومواضبتهم مع الداى علي القيام بشعائر الإسلام من صلاة وصيام والسماع لدروس الوعظ والإرشاد"<sup>42</sup>

نزلت القوات البرية الفرنسية بسیدی فرج بتاريخ 14 جوان 1830م، وتطلعنا رواية أحمد باي عن الظروف التي تم فيها إنزال القوات الفرنسية حيث يقول: "إن العدو نزل في غرب الجزائر برجاله وفرسانه، ولكن لم يكن أحد يملك الجنود والفرسان لرده، كما أنه لم يكن ثمة شخص مستعد لمحاربتة، مما سمح للعدو أن ينزل جنوده ويحفر الخنادق وينصب



## فقدان الأهمية العسكرية للجدش الجزائري أواخر العهد العثماني " الأسباب والنتائج "

مدافعه ويحارب المسلمين المشتتين الذين لا يملكون البارود والذخيرة... إن منطقة سيدي فرج كانت خالية من المدافع والخنادق، وكان هناك فقط اثنا عشر مدفعا نصبت في بدء إعلان الحرب" ، وإن ما توفر من معطيات بخصوص عمليات الإنزال نجدها عند حمدان خوجة الذي أضاف: "وفي اليوم الذي نزل فيه المارشال دي بورمون مع جيشه لم يكن تحت تصرف الأغا سوى 300 فارس ولم يكن مع باي قسنطينة إلا عدد قليل من الجنود"<sup>43</sup>

وفي أول مواجهة مع الجيش الفرنسي أثبتت القوات الجزائرية عجزها وضعفها في مواجهة المحتل. فقد تمكن الفرنسيون من نزول بسيدي فرج دون مقاومة تذكر، وتمكنوا بعد ذلك من تحطيم كل الدفاعات التي لم تكن سوى 12 مدفعا كما ذكرنا سابقا، أما الجزائريون فانسحبوا إلى هضبة أوسطى والي (اسطاوالي) في انتظار الدعم من مختلف جهات الإيالة.

رغم الاستعدادات الظاهرية، فإن الداوي بدل أن يستعمل القوات في الهجوم ضد الفرنسيين في سيدي فرج أبقاها بعيدة عن العاصمة بعدة كيلومترات، وكان الداوي ينظر بثقة إلى جنوده وتحصيناته، وكان يعتقد أن القصب لا تهزم وأنها تستطيع أن تقاوم عدة سنوات، ولم يدعم معسكرات سوى ببعض مئات من الجنود ويفيدنا نص وثيقة بمعلومات عن محاولة إبراهيم آغا القيام بالتحضيرات العسكرية في منطقة سيدي فرج بتاريخ 26 ذي الحجة 1245هـ/1830م: "رسالة من إبراهيم آغا العرب الموجود بسيدي فرج إلى حسين باشا يترقب نزول الفرنسيين، ويطلب إرسال المؤن للجيش مثل العنب والسمن والزيت والبشماط والشعير، كما يطلب إرسال مختصين في حفر المتاريس (الخنادق) وإخباره بقدم بعض فرسان القبائل من أجل المقاومة، ولكنهم رفضوا الانضمام إلى جيش الأغا"<sup>44</sup>. وحسب رواية بفايفر فإن هزيمة الجيش الجزائري في معركة أسطاوالي تعود إلى هروب القبائل وانسحابها من ميدان القتال، مما أتاح الفرصة للقوات الفرنسية بطلق الهتافات: هيا... يحيا الملك فاستولوا على الذخيرة والخيام ما بين ستمائة وثمانمائة خيمة، إلى جانب المدفعية الجزائرية"<sup>45</sup>.

وبالرغم من ذلك فإن حسين باشا كان يصر على الإبقاء على الأغا حتى هزيمته في أسطاوالي. ويحمل حمدان خوجة الداوي حسين مسؤولية تعيينه "للأغا إبراهيم" قائد للجيش ليحارب فرنسا: "بدون جيش منظم وبدون ذخيرة وبدون مؤونة وبدون شعير للخيول وبدون المقدرة الضرورية على مواجهة الحرب"<sup>46</sup>.

عند الهزيمة في أسطاوالي (19 جوان 1830م) هرب إبراهيم آغا من الميدان وترك خلفه الجيش والخيام، والفرقة الموسيقية والأعلام<sup>47</sup>، وأمام هذه الأوضاع المزرية، عزله حسين باشا ودعا المفتي (شيخ الإسلام) "ابن العنابي"<sup>48</sup> وأعطاه سيفا وأمره بجمع الشعب وإقناع الناس بالجهاد دفاعا عن البلاد. كان المفتي رجلا خاضعا ولكنه لا يصلح للقيادة<sup>49</sup>. وفي نفس الوقت كان الجيش الفرنسي يقترب من قطعة مولاي حسن (قلعة الإمبراطور) زاد ذلك فقدان الأمل بنجاح الحملة، أما قيادة الجيش فتولاها باي التيطري مصطفى بومرزاق. ورغم أن القائد الجديد كان يمتاز بالشجاعة والتجربة فإنه اكتفى بجمع الغنائم واختيار البنادق الطويلة لإطلاق الرصاص على الفرنسيين<sup>50</sup>

ومن سوء حظ الداوي حسين أنه أوكل مهمة الدفاع عن حصن مولاي حسن، "للخزناجي مصطفى"، الذي كان حسب "حمدان خوجة" يتأمر على الداوي ويسعى للاستيلاء على الحكم ثم يعقد صلحا مع فرنسا وفق شروطهم وعندما تحرك الجيش الفرنسي نحو حصن مولاي حسن، اضطر الخزناجي إلى نسف مخزن البارود الصغير الذي كان في القلعة فأحدث ذلك ضجة اهتزت له المدينة<sup>51</sup>



ونستشف هدف هذه الرواية من خلال الزهار الذي تحدث عن عنف المعركة التي أدت إلى مقتل الكثير من الفريقين، ومن بين الناجيين الخزنجي الذي أمر بإشعال النار في مخزن البارود في الحصن مما نتج عنه انفجار كبير، بسبب هلعاً بين السكان<sup>52</sup>

وبعد استيلاء القوات الفرنسية على قلعة مولاي حسن جمع حسين باشا أمناء الطوائف وأعيان المدينة وأعضاء الحكومة للأخذ برأيهم بين مواصلة المقاومة أو الاستسلام. وقد وضع أمامهم السؤال التالي: هل تعتقدون أنه من الصواب مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين أو يجب تسليم المدينة إليهم والتوقيع معهم على معاهدة استسلام؟<sup>53</sup> وشيئاً فشيئاً بدأت روح الهزيمة تدب في أوصال الجهاز الإداري والجهاز الاجتماعي، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى البيان الذي وزعه الفرنسيون وكان له أثر على نفسية الجزائريين وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق وفي 4 جويلية 1830م أرسل الداوي حسين وفداً يتكون من كاتبه مصطفى مصحوباً بالقنصل الإنجليزي، إلى جانب أحمد بوضربة وحسن بن حمدان بن عثمان خوجة كمرشحين إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع دي بورمون، والاتفاق معه على شروط الاستسلام. والظاهر أن مصطفى كان يهدف إلى التفاوض باسم الخزنجي لأنه كان عضواً في المؤامرة ضد الداوي<sup>54</sup> غير أن دي بورمون حسب الرواية الفرنسية رفض المؤامرة وقبل باقتراح حسين داي ينص على الاستسلام حيث تم التوقيع عليه بتاريخ 5 جويلية 1830م. ومما جاء في بنود معاهدة الاستسلام<sup>55</sup> التي وقعها الداوي حسين مع القائد الفرنسي دي بورمون: "أن تسلم جميع حصون المدينة والميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة، في 5 جويلية 1830م، وفي نفس الوقت يضمن قائد الحملة للقوات الانكشارية نفس الحقوق والحماية التي يضمنها للداوي وحاشيته"<sup>56</sup>

وفي 10 جويلية غادر الداوي حسين مدينة الجزائر على متن سفينة فرنسية تدعى (جان دارك Jeanne Darc)، برفقة حاشيته المتكونة من 58 رجلاً وامرأة<sup>57</sup>، في حين بدأ قائد الحملة في ترحيل ألفين وخمسمائة انكشاريا من الجزائر على متن سفن بياستير إسبانية كمنحة للسفر<sup>58</sup> أما الانكشارية المتزوجين فقد سمح لهم بالبقاء مع أسرهم، غير أنه سرعان ما شملهم قرار الترحيل بحجة رفضهم البقاء في الجزائر خوفاً من انتقام الحضر واليهود بمدينة الجزائر<sup>59</sup>

والواقع أن السبب الحقيقي الذي كان وراء طرد الانكشارية هو التخوف الفرنسي من إثارة هؤلاء للثورة والاضطرابات مستقبلاً، فقد جاء في تقرير عمر أفندي محتسب أزميز بتاريخ 1246هـ/1830م، بخصوص رسائل وجهت إليه بشأن الانكشارية العزاب الذين اخرجوا من الجزائر بعد سقوطها، وقد تم ترحيل 2500 على متن أربع سفن فرنسية إلى المدن التالية: سالونيك، أوله، فوجة، فقد عبر المحتسب "بأن هؤلاء من الأزدال والفوضويين الذين لا يسمح لهم بالتوجه نحو مدينة أزميز"<sup>60</sup>، إذن هكذا كان مصير الجيش الانكشاري وهو يغادر الجزائر للمرة الأخيرة، فقد تم القضاء على السلطة العثمانية السياسية (الداوي) والعسكرية (الانكشارية).

ومن العوامل التي ساهمت في هزيمة القوات الجزائرية، نقص التحضير النفسي للمحاربين، واستخدام الفرنسيين أسلحة أكثر تقدماً وخططاً حربية مدروسة منذ أيام نابوليون<sup>61</sup>. والخطأ الاستراتيجي الذي وقع فيه الداوي حسين هو عزل وقتل الأغا يحي بعد اتهامه بالتآمر ضده وكان يتولى القيادة العامة للجيش منذ اثني عشرة سنة مما أكسبه خبرة واسعة وتجربة في كل ما يتعلق بفنون الحرب والتنظيم العسكري، كما كان يحظى بالطاعة والاحترام لدى الجنود، ويتمتع بشعبية واسعة وأوكل

## فقدان الأهمية العسكرية للحدش الجزائري أواخر العهد العثماني " الأسباب والنتائج "

الداي القيادة العامة للجيش إلى صهره الأغا إبراهيم الذي قيل عنه بحق أنه "لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يكن يعرف الشيء الكثير عن التكتيك العسكري"<sup>62</sup>. ولم يفعل الأغا إبراهيم عندما وصل الجيش الفرنسي إلى سواحل سيدي فرج، رغم أنه كان يعلم بالمكان الذي تدخل منه الحملة إلى الجزائر، كما أنه اطلع على أخبار الحملة فيما يخص مكونات الجيش الفرنسي<sup>63</sup> وما فعله هو جمع سكان "متيجة" لمواجهة القوات الفرنسية وهؤلاء بدورهم لم يكونوا يعرفون شيئا من أمور الحرب سوء بيع الحليب، أما الفرسان العرب الذين يتمتعون بخبرة حربية والذين جاءوا إلى مدينة الجزائر لمساعدته، فكانوا يقيمون في أطراف المدينة<sup>64</sup>

كما رفض الأغا إبراهيم الأخذ بنصيحة الحاج أحمد باي قسنطينة الذي قال بأنه ليس من السياسة في شيء أن تجمع قواتنا في نقطة واحدة، وإن من الواجب توزيعها بحيث يحمل جزء منها غرب سيدي فرج حتى تمنع العدو من تحقيق هدفه وهو الوصول إلى العاصمة، ولكن الأغا إبراهيم تشبث بخطته وأجاب الباي بقوله: "إنكم لا تعرفون التكتيك الأوروبي، إنه يتعارض كل المعارضة مع التكتيك العربي"<sup>65</sup>.

وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أنه (الأغا) كان جاهلا بالتكتيكيين معا، حيث جمع القوات والعتاد في منطقة الحراش الواقعة شرقي العاصمة، والتي تبعد عن منطقة سيدي فرج بحوالي أربعين كيلومترا<sup>66</sup> و بناء على هذا، لا داعي إلى الاستغراب إذا رأينا إيالة الجزائر تسقط هي الأولى تحت نير الاستعمار، إذا كانت سلطة الداى تمثل أحسن تمثيل تلك الفجوة التي طالما أشار إليها بعض الباحثين والتي فصلت منذ عقود في بلاد المغرب بين الدولة والمجتمع أو بين نظام الحكم والقاعدة الإنتاجية<sup>67</sup> وعلى هذا النحو فقد الجيش أهميته بسبب الثورات وتحكم اليهود في المنافذ المالية، وضعت الأسطول مقابل التقدم الذي شهدته دول أوروبا، مما سهل على فرنسا نجاح حملتها على الجزائر سنة 1830م.

## الهوامش:

- 1 للمزيد من التفاصيل راجع:  
ناصر الدين، سعيدوني، " وضعية المراكز الإقليمية بالجزائر نموذج: حصن القالة: من مركز إسلامي إلى محطة عثمانية"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 9، تونس، أوت 1994 م، ص 167-184، ص 167-184.
- 2 حول موضوع الأوقاف أنظر الدراسة القيمة:  
ناصر الدين، سعيدوني، دراسات تاريخية في مكتبة والوقف والجباية والفترة الحديثة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001، ص 175-255.
- 3 Marcel,Colombe l'Algérie Turque, in, initiation à l'Algérie, Maison Neuve, Paris 1957, PP.115-116.
- 4 مجموعة وثائق تاريخ الجزائر العثماني بالمكتبة الوطنية، رقم: 3190، الملف الأول، ورقة 190.
- 5 حول نشاط الرايس حميدو، راجع:  
Devoulx,A « un exploit des Algériens en 1802 », in, R.A, (N°9), 1865, PP.126-127.
- 6 عبد الجليل، التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871م)، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، زغوان: مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، 1985م، ص 142.
- 7 مج 3190، الملف الأول، ورقة 267.
- 8 مج 3190، الملف الأول، ورقة 223.



- 9 مج 3190، الملف الأول، ورقة 320.
- 10 قنصل فرنسا جان سانت أندري (J.Von saint, André)(1796-1798م).
- 11 مج 3190، الملف الأول، ورقة 65.
- 12 نفسه.
- 13 جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص 192.
- 14 Colombe (Marcel), « Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence », in, R.A (N°87), 1943, PP.165-183. P.169.
- 15 عبد الجليل، التميمي، بحوث...، المرجع السابق، ص 59.
- 16 مج 3190، الملف الأول، ورقة 25.
- 17 خط همايون عدد: 17216، تاريخ 1239هـ
- 18 حول الحرب اليونانية العثمانية، راجع:
- Devoulx, « Recherches sur la coopération »..., op.cit, PP.129-136/207-211
- 19 مج 3190، الملف الأول، ورقة 186.
- 20 كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، (ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ص 100.
- 21 الزهار، المصدر السابق، ص 51.
- والملاحظ أن مدينة الجزائر قد عرفت طوال العهد العثماني ثلاث موجات متتالية من وباء الطاعون، المرحلة الأولى (1778-1788م)، والثانية (1792-1804م)، والثالثة (1816-1822م). - للمزيد راجع:-
- Saïdouni (Nacerddine), L'Algérois Rural à la fin de l'époque Ottomane (1791-1830), Beyrouth, Dar Al-Garb-Al-Islami, 2001., PP.358-367
- 22 A.Berbrugger, « un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 jusqu'en 1819 in, exploitation scientifique de l'Algérie, 1847, T2, P.225.
- 23 M.Colombe, « contribution »..., op.cit, P.180.
- 24 Boyer (Pierre), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris, Hachette, 1963.t, P.94.
- 25 عبد الجليل، التميمي، بحوث...، المرجع السابق، ص 59.
- 26 مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، (ترجمة: اسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص 176.
- 27 مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، ص 136.
- 28 Grammont (H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination Turque, 1515-1830, Paris, E.Leroux, 1887., PP.381-382.
- 29 Kuran (Erkument), « La lettre du dernier Dey au grand Vizir de l'empire Ottoman », in R.A, (N°96), 1952, P.192.
- 30 بادر السلطان محمود الثاني عام 1826م بإصلاحات عميقة داخل النظام الجديد بإصلاحات عميقة داخل النظام الجديد على غرار التنظيمات العسكرية الأوروبية. لكن مشروعه باء بالفشل وتم اغتياله على يد عناصر الجيش.
- 31 مجموعة 3190، الملف الأول ورقة 205.

## فقدان الأهمية العسكرية للحدش الجزائري أواخر العهد العثماني " الأسباب والنتائج "

32 Rinn, Louis, Le royaume d'Alger sous le dernier dey, Alger, Adolphe Jourdan, 1900, PP. 136-142.

33 مج 3190، الملف الأول، ورقة 196.

34 حمدان، خوجة، المرآة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص 149.

35 مج 1903، ورقة 41.

36 أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م، ص 278.

37 مج 3190، الملف الأول، ورقة 382.

38 Marcel, Emerit, « une cause de l'expédition d'Alger ; le trésor de la casbah », in, Actes du 89, congrès des sociétés savantes d'Alger, 1954, P.172.

39 في 30 جويلية 1829م، قدم وفد فرنسي برئاسة دولابروتونيار (la Brotonniere) على ظهر سفينته (La provence) للتفاوض مع حكومة الداى، وحل المشكلة العالقة بين البلدين غير أن هذه المفاوضات باءت بالفشل. وعندما غادرت السفينة الميناء اقترحت من بطاريات ودفاعات العاصمة، فاضطر الطوبجية إلى إطلاق النار عليها، للمزيد راجع: حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 183-184.

40 Emerit (Marcel), « l'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », in R.H.M.C, Juillet-Septembre, 1954, P.172.

41 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 213.

42 مج 3190، الملف الأول، ورقة 117.

43 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص

44 مج 3190، الملف الأول، ورقة 357.

45 بفايفر، سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال (ترجمة وتقديم وتعليق: د.أبو العيد دودو)، الجزائر: دار هومة، 1998م، ص 80.

46 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 196.

47 نفسه.

48 ألف ابن العنابي كتابا بغرض إصلاح جيش الإيالة، وقد حث إلى اقتباس النمط العسكري الأوروبي، والإصلاحات العسكرية التي عمل بها محمد علي باشا حاكم مصر. أنظر: محمد بن محمود، بن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

49 نفسه

50 المصدر نفسه، ص 198.

51 نفسه، ص 199.

52 الزهار، المصدر السابق، ص 174.

53 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 200.

54 لمصدر نفسه، ص 202-203.

55 أنظر تفاصيل المعاهدة في: حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 203-204.

56 Copie du registres manuscrit des arrêts du gouvernement général de l'Algérie de

p.1 1830 à 1834, in, manuscrit de la bibliothèque nationale d'Alger, sous le numéro 3306

57 سيمون، بفايفر، المصدر السابق، ص 130.



58 Le marchand (E), L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Paris, Perrin et Cie, 1913., PP.287-288.

59 Nettement (Alfred), Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques, Paris, Jacques le coffre, 1856, P.467.

60 خط همايون، عدد: 22530، تاريخ 1246هـ.

61 وولف، جون (ب)، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 453.

62 الزهار، المصدر السابق، ص 136.

63 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 188.

64 المصدر نفسه، ص 189.

65 نفسه، ص 190.

66 نفسه، ص 192.

67 Azan (Paul), l'expédition d'Alger en 1830, Paris, 1931., P.88